

المفاضلة بين الأنبياء والرسل

إعداد

الباحث : فهيد بن منصور بن لؤي الشريف

باحث دكتوراة بقسم العقيدة كلية أصول الدين

جامعة أم القرى

الرقم الجامعي:٤٣٥٧٠١٦٢

المفاضلة بين الأنبياء والرسل.

فهيد بن منصور بن لؤي الشريف.

القسم: العقيدة، كلية أصول الدين، جامعة أم القرى.

(البريد الإلكتروني): w331122w@hotmail.com

ملخص:

لقد فضل الله الرسل والأنبياء بعضهم على بعض كما جاء ذلك في الكتاب والسنة ، وفي المقابل جاءت نصوص تنهى عن التخير والتفضيل بينهم وقد اتفق العلماء أن التفاضل بينهم ثابت وحق كما دلت عليه النصوص ولا بد من الاعتقاد بذلك، وفي سبيل ذلك التقرير قام العلماء بتوجيه النصوص التي نصت على النهي عن التفضيل بينهم ، فمنهم من قال بالنسخ ومنهم قال بالجمع وهم الأكثر.

الكلمات المفتاحية: المفاضلة، بين، الأنبياء، الرسل، عقيدة.

The preference among the prophets and messengers.

Fahid bin Mansour bin Loay al-Sharif.

Department: Faith, College of Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University.

(Email): w331122w@hotmail.com

Abstract:

God preferred the messengers and the prophets to each other as stated in the book and the Sunnah, and in return came texts that prohibit the choice and preference among them. Which stipulated the forbidding the preference among them, some of them said copies, and some of them said the collection and they are the most.

Keywords: differentiation, between, prophets, messengers, doctrine.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فلقد فضل الله الرسل والأنبياء بعضهم على بعض كما جاء ذلك في الكتاب والسنة ، و في المقابل جاءت نصوص تنهى عن التخير والتفضيل بينهم وقد اتفق العلماء أن التفاضل بينهم ثابت وحق كما دلت عليه النصوص ولابد من الاعتقاد بذلك ، وفي سبيل ذلك التقرير قام العلماء بتوجيه النصوص التي نصت على النهي عن التفضيل بينهم ، فمنهم من قال بالنسخ ومنهم قال بالجمع وهم الأكثر ، ومن خلال هذا البحث سوف أقوم بدراسة هذه المسألة بالتفصيل ٠

وقد سلكت في بحثي الخطة التالية :

المقدمة.

التمهيد

المطلب الأول : النصوص التي يتوهم معارضتها للآيات

المطلب الثاني : الإجماع على التفاضل بين الأنبياء والرسل

المطلب الثالث : توجيه أحاديث النهي عن التفضيل

الخاتمة.

و في هذا البحث سلكت الطريقة التالية :

١- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها في نفس المتن.
٢- أخرجت الأحاديث من مصادرها، فإذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بهما ، وإن كان في غيرهما بينت حكم الحديث من خلال كلام العلماء فيه.
٣- مناقشة الأقوال والترجيح في توجيه أحاديث النهي عن التفضيل
٤- شرح الألفاظ الغريبة في الأحاديث .

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبة وسلم

التمهيد

معنى التفاضل في اللغة :

المفاضلة : هي المقارنة بين شيئين أو جهتين وتغليب أحدهما على الأخر **والتفاضل** : التمايز في الفضل ، و فضله : مزاه ، والتفاضل بين القوم : أن يكون بعضهم أفضل من بعض ، ورجل فاضل ذو فضل ورجل مفضول قد فضله غيره ، ويقال فضل فلان على غيره إذا غلب بالفضل عليهم ورجل فضال و مفضل : كثير الفضل ، والفضيلة : الدرجة الرفيعة في الفضل ، و الفاضلة الاسم من ذلك (١)

وفضَلَ يفْضُلُ كنَصَرَ ينْصُرُ من الفضْلِ الذي هو السّؤْدُد ، وفضِلَ يفْضُلُ بكسرهما في الماضي وضمّها في المضارعِ من الفضْلَةِ وهي بقيّةُ الشيءِ"(٢)

أسباب التفضيل و أقسامه:

لاشك أن التفضيل له أسباب يقوم عليها بحيث يتميز الفاضل عن المفضول قال ابن حزم :" الفضل ينقسم إلى قسمين لا ثالث لهما فضل اختصاص من الله عز وجل بلا عمل ، وفضل مجازاة من الله تعالى بعمل ، فأما فضل

(١) – لسان العرب (١١ /٥٢٤)
(٢) – تاج العروس (٣٠/ ١٧٢)

الاختصاص دون عمل فإنه يشترك فيه جميع المخلوقين من الحيوان الناطق والحيوان غير الناطق والجمادات والأعراض كفضل الملائكة في ابتداء خلقهم على سائر الخلق وكفضل الأنبياء على سائر الجن والإنس٠٠٠٠٠"

إلى أن قال :" وأما فضل المجازاة بالعمل فلا يكون البتة إلا للحي الناطق من الملائكة والإنس والجن فقط "وهذا هو القسم المتنازع فيه بين الناس فى هذا الباب [١]

ويقول الراغب في المفردات :"الفضل الزيادة عن الاقتصار وذلك ضربان محمود كفضل العلم والحلم ، ومذموم كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه . والفضل في المحمود أكثر استعمالا من الفضول في المذموم والفضل إذا استعمل لزيادة أحد الشيئين على الآخر فعلى ثلاثة أضرب فضل من حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النبات ، وفضل من حيث النوع كفضل الإنسان على غيره من الحيوان وعلى هذا النحو قوله (ولقد كرمنا بني آدم)[٢] إلى قوله : (تفضيلا) وفضل من حيث الذات كفضل رجل على آخر . فالأولان جوهريان لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه وأن يستفيد الفضل كالفرس والحمار لا يمكنهما أن يكتسبا الفضيلة التي خص بها الإنسان ، والفضل الثالث قد يكون عرضيا فيوجد السبيل على اكتسابه ومن هذا النوع التفضيل المذكور في قوله تعالى: (والله فضل بعضكم على

---

(١) – الفصل في الملل (٤ /٩١)

(٢) – سورة الأسراء آية (٧٠)

بعض في الرزق)[1] والحاصل أن وجوه التفضيل كثيرة وأسبابها متعددة لا حصر لها على التفصيل ،" فعلى المتكلم في هذا الباب أن يعرف أسباب الفضل أولا ثم درجاتها ونسبة بعضها إلى بعض والموازنة بينها ثانيا ثم نسبتها إلى من قامت به ثالثا كثرة وقوة ، ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها رابعا قرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالا لغيره بل كمال غيره بسواها، فكمال خالد بن الوليد بشجاعته وحروبه وكمال ابن عباس بفقهه وعلمه وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا، فهذه أربع مقامات يضطر إليها المتكلم في درجات التفضيل، وتفضيل الأنواع على الأنواع أسهل من تفضيل الأشخاص على الأشخاص وأبعد من الهوى "[2]

---

(١) – المفردات في غريب القرآن (٣٨١/١)

(٢) – بدائع الفوائد (٦٨٤/٣)

المطلب الأول

النصوص التي يتوهم معارضتها للآيات

إن الإيمان بأنبياء الله ورسله يعد جزءاً من عقيدة المؤمن لا تصلح العقيدة ولا تكتمل إلا به قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾(١)

وقد عد الله من آمن ببعض الرسل وكفر بالبعض الآخر كافراًوتوعده بالعذاب المهين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ ﴾(٢)

وإذا كنا نؤمن الله ورسله جميعاً دون تفريق ، فأننا نؤمن أيضاً أن الله تبارك وتعالى قد فضل بعضهم على بعض درجات (فمنهم من خصه بالإرسال إلى الكافة فكان أفضل ممن أرسل إلى أمة مخصوصة ، ومنهم من كلمه الله بلا واسطة وكان من الذى خاطبه بواسطة ، ومنهم من خصه

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥

(٢)سورة النساء الآيتان (١٥٠ ، ١٥١)

بالابتداء ، ومنهم من خصه بالخاتمة ، وكما تفاضلوا فى الدنيا فى مراتب النبوة ، كذلك يكون تفاضلهم فى درجات الثواب فى االجنة . (١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ (٢) احتج العلماء بهذه الآية على أن رسول الله أفضل من جميع الأنبياء لأن (خصال الكمال وصفات الشرف كانت مفرقة فيهم بأجمعهم ، فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة ، وأيوب كان من أصحاب الصبر على البلاء ، ويوسف كان مستجما بهاتبن الحالتين ، وموسى كان صاحب الشريعة القوية القاهرة والمعجزات الظاهرة ، وزكريا ويحيي وعيسى وإلياس كانوا من أصحاب الزهد ، واسماعيل كان من أصحاب الصدق ويونس صاحب التضرع . فثبت أنه تعالى أنما ذكر كل واحد من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام لأن الغالب على كل واحد منهم كان خصلة معينة من خصال المدح والشرف ، ثم إنه تعالى لما ذكر الكل أمر محمداً صلى بأن يقتدى بهم بأسرهم فكان التقدير كانه تعالى أمر محمداً صلى أن يجمع من خصال العبودية والطاعة كل الصفات التى كانت مفرقة فيهم بأجمعهم ، ولما أمر الله تعالى بذلك ، أمتنع أن يقال : إنه قصر فى تحصيلها فثبت أنه حصلها ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه اجتمع فيه من من خصال الخير ما كان متفرقاً فيهم بأسرهم) (٣)

---

(١) أصول الدين للبغدادى ص ١٦٤ تحقيق لجنة إحياء االتراث العربى بيروت

(٢) سورة الأنعام آية (٩٠)

(٣) تفسير الفخر الرازى ج ١٢

لاشك أن الآيات التي دلت على التفضيل بين الأنبياء والرسل واضحة وصريحة كما قال تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ البقرة :٢٥٣} وأيضا قوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ {الإسراء:٥٥}

وقد ورد عن النبي ﷺ أحاديث تؤيد الآيات السابقة في جـواز التفضيل بين الأنبياء والرسل منها ما جاء عن أبي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قال: قال رسول اللّهِ ﷺ : " أنا سيِّدُ ولَدِ آدمَ يوم القِيَامَةِ وأَوَّلُ من يَنشَقُّ عنه القَبْرُ ، وأَوَّلُ شافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ "(١)

وكذلك قول النبي ﷺ "فضِّلْتُ على الْأَنْبِيَاءِ بستٍّ أعْطِيتُ جوَامِـعَ الْكلِمِ ونُصِرْتُ بِالرّعْبِ وأُحِلَّتْ ليَ الْغنَائِمُ وجُعِلَتْ ليَ الْأَرْضُ طهُورًا ومَسْجِدًا وأُرْسِلْتُ إلى الْخلْقِ كافَّةً وخُتِمَ بيَ النّبِيُّونَ"(٢)

وإذا كان التفضيل بين الأنبياء والرسل ثابت بنصوص الشرع مـن

---

(١) – أخرجه مسلم في (كتاب الفضائل)(باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق) برقم : ٢٢٧٨ (٤ /٧٨٢)

(٢) – أخرجه مسلم في (كتاب المساجد) برقم: ٥٢٤ (١ /٣٧١)

القرآن والسنة ففي المقابل ورد عن النبي ﷺ أحاديث صحيحه متواترة تتضمن النهي عن التفضيل بين الأنبياء ، الأمر الذي يوهم بوجود تعارض بين هذه الأحاديث والنصوص السابقة ، وهي كالتالي :

أولا : ما جاء عن أبي هرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قال بَينَمَا يَهودِيٌّ يَعْرِضُ سلْعَةً له أعطى بها شيئا كَرِهَهُ أولم يَرضَهُ، قال : لا وَالَّذي اصطَفَى موسَى عليه السّلَام على البَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجلٌ من الأَنْصَارِ فلَطَمَ وَجهَهُ، قال: تَقولُ: وَالَّذي اصطَفَى موسَى عليه السّلَام على البَشَرِ ورَسولُ اللّهِ ﷺ بين أَظْهرِنَا، قال: فذهب الْيَهودِيُّ إلى رسول اللّهِ ﷺ فقال: يا أَبَا الْقَاسمِ إنَّ لي ذمَّةً وَعَهدًا وقال فلَانٌ لطَمَ وَجْهي فقال رسول اللّهِ ﷺ لمَ لَطَمتَ وَجهَهُ قال: قال: يا رَسولَ اللّهِ وَالَّذي اصطَفَى موسَى عليه السّلَام على البَشَرِ وَأَنتَ بين أَظْهرِنَا، قال: فَغَضبَ رسول اللّهِ ﷺ حتى عرِفَ الغَضَبُ في وَجْهِهِ ثمَّ قال : لا تفَضِّلُوا بين أَنْبيَاءِ اللّهِ فإنه يُنْفخُ في الصّورِ فيَصعَقُ من في السّمَاوَاتِ ومَنْ في الأرض إلا من شاءَ الله قال : ثمَّ يُنْفخُ فيه أُخْرى فأَكُونُ أوَّلَ من بُعثَ أو في أوَّلِ من بُعثَ فإذا مُوسى عليه السّلَام آخذٌ بالْعَرْشِ فلا أَدْرِي أَحُوسبَ بصعْقَتِهِ يوم الطّورِ أو بُعثَ قَبْلي ولا أقُولُ إنَّ أحَدًا أفْضَلُ من يونُسَ بن متَّى عليه السّلَام "[١]

ثانيا : ما جاء عن أبي سعِيدٍ الْخدْرِيِّ (رضى الله عنه) قال: قال

---

(١) – أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء) باب قوله تعالى (وان يونس لمن المرسلين (٣/١٢٥٤) ومسلم في (كتاب الفضائل)(باب من فضائل موسى عليه السلام) برقم : ٢٣٧٣(٤ / ١٨٤٣)

رسول اللّهِ صلى الله عليه وسلم " لا تخَيِّرُوا[١] بين الْأَنْبِيَاء " [٢]

ثالثا : ما جاء عن ابن عبَّاسٍ (رضى الله عنهما) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا ينْبَغِي لِعبْدٍ أنْ يقُولَ أنا خيْرٌ من يونُسَ بن متَّى"[٣] ، وعن أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما ينْبَغِي لِعبْدٍ أنْ يقُولَ أنا خيْرٌ من يونُسَ بن متَّى"[٤]

قال الحافظ بن حجر :" خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له ، فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة"[٥]

وجه التعارض :

أن ظاهر الآيات جاءت بتفضيل الأنبياء والرسل بعضهم على بعض وفي الأحاديث جاء النهى عن التفضيل بينهم مما يوهم بوجود تعارض بينهما ، فما توجيه ذلك وكيف الجمع ؟.

---

(١) – لا تخيروا أي : " لا تقولوا بعضهم خير من بعض " عمدة القاري (٢٤ /٧٤)

(٢) – أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل موسى عليه السلام برقم :٢٣٧٤ (١٨٤٥/٤)

(٣) – أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء) باب قوله تعالى (وهل أتاك حديث موسى) برقم ٣٢١٥ (١٢٤٤/٣)

(٤) – أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء) باب قوله تعالى (وان يونس لمن المرسلين) (٦/ ٢٧٤١)

(٥) – فتح الباري (٦ /٤٥٢)

المطلب الثاني

لإجماع على التفاضل بين الأنبياء والرسل

التفاضل بين الأنبياء والرسل متعين وثابت ، فهم يتفاضلون بينهم كما جاء في قولة تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[١] وقولة ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [٢]، وكذلك قول النبي ﷺ "فضِّلْتُ على الْأنْبِيَاءِ بسِتٍّ ...الحديث ، وقوله ﷺ :" أنا سيِّدُ ولَدِ آدمَ يوم القِيَامَةِ...[٣]

وقد اجمع العلماء على التفاضل بين الأنبياء والرسل ، يقول ابن كثير: "ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء ، وأن أولى العزم منهم أفضل ، وهم الخمسة المذكورون نصا في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۝٧ ﴾ [٤] وفي الشورى في قوله : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟

---

(١) سورة البقرة آية (٢٥٣) .
(٢) سورة الإسراء آية (٥٥)
(٣) رواه مسلم ص ١٩٦ عن حديث انس رضى الله عنه
(٤) سورة الأحزاب آية (٧)

فِيهِ﴾[1] ولا خلاف أن محمدا ﷺ أفضلهم ثم بعده إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام على المشهور"[2]

وابن كثير يرى أن نوحا أخرهم في ترتيبهم في الفضل وقوله:"على المشهور" يوحي بوجود خلاف في ترتيبهم في الفضل بعد محمد ﷺ لكنه قد جزم في موضع أخر أن إبراهيم أفضل الرسل وأولى العزم بعد محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين [3]

وفي هذا السياق يقول شيخ الإسلام :"وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم وأفضل المرسلين أولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ " .

وقال أيضا :" وأفضل أولي العزم محمد خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد ولد آدم وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا وخطيبهم إذا وفدوا صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون وصاحب لواء الحمد وصاحب الحوض المورود وشفيع الخلائق يوم القيامة وصاحب الوسيلة والفضيلة الذي بعثه بأفضل كتبه وشرع له أفضل شرائع دينه وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن

---

(١) سورة الشورى آية (١٣)
(٢) – تفسير ابن كثير (٤٧/٣)
(٣) – البداية والنهاية (١٧٢/١)

ما فرقه فيمن قبلهم وهم آخر الأمم خلقا وأول الأمم بعثا "[١]

فلا بد من اعتقاد التفاضل بين الأنبياء واعتقاد فضل الرسل على الأنبياء وفضل أولي العزم على بقية الرسل وفضل محمد ﷺ على سائر الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم[٢] وذلك لقيام الأدلة من القران والسنة الصحيحة الصريحة .

---

(١) – مجموع الفتاوى (١١/١٦١/١٦٢)

(٢) – شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٣٨)

المطلب الثالث

توجيه أحاديث النهي عن التفضيل

سلك العلماء عدة طرق في توجيه أحاديث النهي عن التفضيل منها:

الأول : النسخ فقد ذكر بعض العلماء أن هذا كان قبل أن يوحى إليه بالتفضيل وقبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، وأن القرآن ناسخ للمنع من التفضيل[(١)]

لكن هذا القول فيه نظر، كما يقول بن كثير (لان هذا من رواية أبي سعيد وأبي هريرة وما هاجر أبو هريرة إلا عام حنين متأخرا فيبعد أنه لم يعلم بهذا إلا بعد هذا) [(٢)] ، أضف إلى ذلك أن التفاضل بين الأنبياء وفضل أولي العزم من الرسل منهم كل ذلك قد ورد في الآيات المكية في سورة الإسراء وقصة حديث أبي سعيد وأبي هريرة وقعت في المدينة [(٣)]

الثاني : أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل

---

(١) – تفسير القرطبي (٢٦٢/٣) فتح القدير (٢٦٩/١)

(٢) – البداية والنهاية (١ /٢٨٥)

(٣) – مباحث المفاضلة في العقيدة (ص١٦١)

فيها ، وإنما التفاضل بالخصائص، وفضائل أخرى[١]

قال القرطبي : "وهذا قول حسن فإنه جمع بين الآي والأحاديث من غير نسخ ، والقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما منح من الفضائل وأعطى من الوسائل وقد أشار ابن عباس إلى هذا "[٢]

الثالث : أن المراد بالنهي عن التفضيل الذي يؤدي إلى الخصومة والتشاجر ، وذلك في مثل الحال التي تحاكم فيها اليهودي مع الأنصاري عند النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما ، قالوا: وهذا التوجيه ملائم لسبب ورود الحديث[٣]

الرابع : أن النهي على سبيل تعين المفضول، أما تفضيل بعضهم على بعض في الجملة دون تعين فهذا ما دلت عليه النصوص[٤]

لكن يرد على هذا أن الله بعد أن ذكر تفضيلهم في الجملة جعل يعين بعض المتفاضلين ويذكر بعض ما فضلوا به يقول القرطبي " فإن الله تعالى لما أخبر أنه فضل بعضهم على بعض جعل يبين بعض المتفاضلين ويذكر الأحوال التي فضلوا بها فقال : ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ

---

(١) – شرح النووي على صحيح مسلم (٣٨/١٥)
(٢) – تفسير القرطبي (٣ /٢٦٣)
(٣) – فتح الباري (٦ /٤٤٦)
(٤) – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١ /٣٣٨)

دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ (البقرة : ٢٥٣) وقال: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾ ﴾ (الإسراء ٥٥) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الأنبياء ٤٨) وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ ﴿٧﴾ ﴾ (الأحزاب:٧) ، فعم ثم خص وبدأ بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا ظاهر"[١]

الخامس : أن مراد النبي ﷺ أن مقام التفضيل ليس إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل، وعليكم الانقياد والتسليم له والإيمان به [٢]

السادس :النهي عن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس ، بل نفس الجهاد إذا قاتل الرجل حمية وعصبية كان مذموما، فان الله حرم الفخر[٣]

السابع : أن النهي من باب التواضع وهضم النفس، ونفى التكبر والعجب[٤]

---

(١) – تفسير القرطبي (٣ /٢٦٤)
(٢) – تفسير ابن كثير (١ /٣٠٥)
(٣) – شرح العقيدة الطحاوية (١/١٧٠)
(٤) – كتاب الشفا (١ /١٧٥)

الثـامن : معناه ترك التخيير بينهم على وجـه الإزراء ببعضـهم وذلك يؤدي إلى فساد الاعتقاد فيهم ، والإخلال بواجب حقهم ، وليس المراد أن يعتقد التسوية بينهم ، وفقد أخبرنا الله تعالى بأنه قد فضل بعضهم على بعض[١]

وهذا التوجيه هو الأقرب والله اعلم ، ويشهد لذلك مناسبة الحـديث حيث تشاجر الأنصاري مع اليهودي ، فكان الخوف من التفضيل في هـذه الحالة يؤدي إلى انتقاص موسى عليه الصلاة والسـلام، قـال المـازري: "يحتمل أن يريد لا تفضلوا بين أنبياء الله تفضيلا يؤدي إلى نقص بعضـهم قال: وقد خرج الحديث على سبب وهو لطم الأنصاري وجه اليهودي فقـد يكون عليه الصلاة والسلام خاف أن يفهم من هذه الفعلة انتقاص موسـى فنهى عن التفضيل المؤدي إلى نقص الحقوق"[٢]

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) كشف المشكل (٣/ ١٤٤)

(٢) الموافقات (٤ /٢٦٦)

الخاتمة

الحمد لله الذي لا اله إلا هو الحي القيوم ، وصلى الله على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فإن مسالة التفضيل بين الأنبياء والرسل من المسائل التي قد يتوهم أن فيها تعارض بين النصوص وهي تحتاج إلى مزيد دراسة وتفصيل

وهذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذه المسألة :

١- أن نصوص الوحي جاءت كاملة شاملة لا يوجد فيهـا تنـاقض ولا تضارب إلا عند من قل علمه.
٢- أن التفضيل بين الرسل الأنبياء ثابت و حق ولابد من الاعتقاد بذلك
٣- أن التفضيل المنهي عنه أذا كان على سبيل تنقض المفضول كمـا في قصة اليهودي مع الأنصاري .

هذا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

المـــراجــــــع

١- القرآن الكريم، جل من أنزله.

٢- الجامع الصحيح المختصر لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي دار ابن كثير – اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – الطبعة الثالثة تحقيق مصطفى ديب البغا

٣- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري دار إحياء التراث العربي – بيروت – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

٤- تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، دار الفكر – بيروت

٥- تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الحسيني الزبيدي دار الهداية

٦- صحيح مسلم بشرح النووي ، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٣٩٢

٧- الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٤ ، تحقيق : محمد سيد كيلاني

٨- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني – مكتبة ابن تيمية – الطبعة الثانية – تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي

٩- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري – دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى

١٠- المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد - دار المعرفة - لبنان - تحقيق : محمد سيد كيلاني

١١- مباحث المفاضلة في العقيدة – محمد بن عبد الرحمن الشظيفي

١٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي بن محمد الشوكاني - دار الفكر – بيروت

١٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - دار المعرفة – بيروت

١٤- البداية والنهاية - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء - مكتبة المعارف – بيروت

١٥- الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الشعب – القاهرة

١٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي - دار الكتب العلمية – لبنان ١٤١٣هـ ١٩٩٣م - الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد

١٧- شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز الحنفي المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩١ الطبعة الرابعة

١٨- كشف المشكل من حديث الصحيحين - أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي - دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م تحقيق علي حسين البواب

١٩- الموافقات في أصول الفقه - إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي – دار المعرفة – بيروت ، تحقيق : عبد الله دراز .